

78

قصص الأنبياء

محمّد

(صلى الله عليه وسلم) (22)

يوم بارئ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابُوا مَكْرَهًا
سَأَلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ





استقر رسول الله ﷺ بالمدينة اثني عشر شهراً ،
عمل خلالها على تأسيس مجتمع المدينة ، ووضع
قواعد الدولة الإسلامية الناشئة ..

ثم خرج ﷺ يُقاتل الكفار والمشركين ،
استجابة لأمر الله (تعالى) بقتالهم ، فخرج ﷺ في
عدة غزوات ، فكانت غزوة الأبواء أولى غزواته ..
ثم غزوة بواط وغزوة العشيرة ..

وقد تخللت هذه الغزوات التي قادها الرسول ﷺ
عدة سرايا عقد ألويتها لأصحابه ، مثل السرية التي
عقد لواءها لعمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ
والسرية التي عقد لواءها لعبيدة بن الحارث ﷺ ،
فكانوا يخرجون للقاء الكفار والمشركين .. وقد
كان ذلك كله قبل غزوة بدر الكبرى ..

وسبب غزوة بدر أن رسول الله ﷺ سمع أن
أبا سفيان بن حرب قادم من الشام وهو يقود قافلة
تجارية عظيمة لقريش ، والقافلة يحرسها أربعون
رجلاً ، فقال ﷺ لأصحابه :

« هذه غير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها

لَعَلَّ اللَّهُ يَنْقُلَكُمْوهَا ، .. أَى لَعَلَّ اللَّهُ يَجْعَلُهَا
غَنِيمَةً لَكُمْ .

وكان الله (تعالى) ، قد أحل أموال المشركين
غنيمة للمسلمين ، عوضاً لهم عن أموالهم وديارهم
التي سلبها منهم كفار مكة عند الهجرة .. كما
أمرهم بقتال المشركين ؛ حتى يكفوا عن فتنة إخوانهم
من المسلمين ، الذين حبسهم في مكة ، فلم يهاجروا ..
فاستجاب بعض المسلمين لنداء رسول الله ﷺ
بالخروج للقاء قافلة قريش ..

وعلم أبو سفيان أن النبي ﷺ ، قد عبأ أصحابه
للخروج للاستيلاء على القافلة ، فاستأجر رجلاً
يسمى ضمضم بن عمرو الغفاري ، وأرسله إلى مكة ؛
ليخبر قريشاً أن النبي ﷺ وأصحابه ، قد خرجوا
للاستيلاء على تجارتهم وأموالهم ..

وطار ضمضم بالخبر إلى مكة ، فلما وصل إلى هناك

أَخَذَ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَائِلًا :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ
وَتِجَارَتُكُمْ قَدْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ لِلْأَسْتِثْلَاءِ
عَلَيْهَا ، وَلَا أَرَى أَنْكُمْ سَتَنْقُذُونَهَا ..



فَتَجَمَّعَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْخُرُوجِ لِلْمَلَاءِ
مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ
سَادَةِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهَا إِلَّا أَبُو لَهَبٍ ، فَقَدْ اسْتَأْجَرَ
رَجُلًا هُوَ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ ، لِيُخْرِجَ مَكَانَهُ ..

وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِخَيْلِهَا وَخَيْلَانِهَا ، يَمْلَأُهَا الْغُرُورُ ،
وَكَأَنَّهُمْ ذَاهِبُونَ فِي نَزْهَةٍ قَصِيرَةٍ ، يَعُودُونَ بِعِدْهَا
وَقَدْ قَضَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، وَاسْتَرَاخُوا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْأَبَدِ ..

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْدِ أَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ
الْاِثْنَيْنِ الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ
الْهِجْرَةِ ..

وَكَانَ عِدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثِمِائَةً ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ
سِوَى جَوَادِينَ وَسَبْعِينَ بَعِيرًا ، يَتَبَادَلُونَ رُكُوبَهَا ..
وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ﷺ يَحْمِلُ لِرِوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ،
وَكَانَ مِنْ قِمَاشٍ أَبْيَضٍ ..

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يحمل راية
المهاجرين .. أما راية الأنصار ، فقد كان يحملها
سعد بن معاذ رضي الله عنه ..

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله سائرا بالمسلمين ،
للقاء القافلة التجارية ، جاءه الخبر أن قريشا قد
خرجت للقاءهم عند بدر ، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه
عن خروج قريش لحربهم ، وخبرهم بين القدوم
على الحرب أو العدول عنها ، فتكلم أبو بكر ثم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأحسن الكلام .. ثم تكلم
المقداد بن عمرو رضي الله عنه ، فقال :

- يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ،
والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
(فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ،
ولكن نقول لك : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
معكما مقاتلون) ..

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعاه
بالخير .. ثم قال ﷺ :

- « أشيروا علي أيها الناس » ..

وكان ﷺ يقصد بذلك الأنصار ؛ لأنهم حين بايعوه
بالعقبة ، قالوا :

- يا رسول الله ، إنا براء من ذمامك ، حتى تصل
إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا
نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ..

ولذلك فإن رسول الله ﷺ ، كان يتخوف ألا يكون
رأى الأنصار الخروج معه لقتال عدوه خارج المدينة ،
وإنما يصدون عنه العدو إذا هجم على المدينة فقط ..
فلما قال رسول الله ﷺ ذلك ، تكلم سعد بن معاذ ،
فقال :

- لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به
هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا



على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما
أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ،
ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا
غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء .. لعل الله
أن يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ..
فسر رسول الله ﷺ مما قاله سعد ، وقال :

« سيروا وأبشروا ، فإن الله (تعالى) قد وعدني
إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى
مصارع القوم » ..

وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين ، حتى وصلوا
قريبا من بئر بدر ، فنزلوا وخطوا رحالهم ..
وأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ،
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ، مع
جماعة من الصحابة ، إلى ماء بدر ، ليتعرفوا
أخبار قريش والقافلة التي يقودها أبو سفيان ،

فوجدوا غلامين يحملان الماء لقريش .

فأحصروهما وسألوهما

— من أنتم ؟

فقالا

— نحن سقاة قریش . وقد أرسلونا لإحصار الماء ..

فطن المسلمون أنهما يكتمان عليهما ، فقد كانوا

يرحسون أن يكون العلامان تبع أبي سفيان ، حتى

يستولوا على القافلة وما فيها من أموال ، ولذلك

فقد راحوا يصربون العلامين ، فقال العلامان كذا

— نحن تبع أبي سفيان ..

وكان رسول الله ﷺ يصلي . فلما انتهى من

صلاته ، قال :

— « إذا صدقاكم صرتموهما ، وإذا كذباكم

تركتموهما ؟ صدقا والله ، إنيهما لقريش ، أحبراني

عن قریش » ..

فقال العلامةان

— هم وراء هذا الكتيب ، الذي ترى بالعدوة
القُصوى ..

فسألهم رسول الله ﷺ عن عدد جيش قريش ، فذكر
العلامان أنهما لا يعلمان ، فسألهما الرسول ﷺ .

— « كم يدحون كل يوم » .. »

فقال العلامةان :

— يوما يدحون تسعا من الإبل ، ويوما عشرا ..

فقال رسول الله ﷺ

— « القوم فيما بين السعمانة والألف » .. »

وقد كان عدد جيش قريش كما قدره الرسول ﷺ

أما ما كان من أمر أبي سفيان من حرب ، فإنه لما
علم محروح المسلمين للاستيلاء على القافلة ، غير
الطريق التي كان يسير بها ، وسار في طريق الساحل ،
ولما تأكد أنه أصبح اما ارسل لقريش بحرهم

أَنَّ الْقَافِلَةَ قَدْ نَجَتْ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ الْعَوْدَةَ إِلَى مَكَّةَ ،
وَهَمَّتْ قَرِيشٌ بِالْعَوْدَةِ ، وَلَكِنْ أَبَا جَهْلٍ صَدَّهُمْ عَنْ
الرُّجُوعِ قَائِلًا :

— وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا ، فَتُقِيمَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا
فَنَنْحَرَ الْجُزُرَ ، وَنُطْعِمَ الطَّعَامَ ، وَتَسْمَعَ الْعَرَبُ بِنَا
وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا ..
وَنَزَلَتْ قَرِيشٌ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي بَعِيدًا
عَنْ مَاءِ بَدْرٍ ..



ونزل رسول الله ﷺ بالمسلمين بجوار ماء

بدر ، فقال الحباب بن المنذر رضي الله عنه للرسول ﷺ :

- يا رسول الله ، هل هذا المكان الذي نزلنا به

مكان اختاره الله (تعالى) لنا ، فلا بد أن نزل فيه ،

أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

فقال النبي ﷺ : سخط الله وجهه في هذا المكان

- « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » ..

فاقترح الحباب بن المنذر رضي الله عنه على رسول

الله ﷺ ، أن ينزل بجيش المسلمين على أقرب ماء

من قريش ، فيستولون عليه ، ثم يتنون عليه حوضا ،

ويملئوه بالماء ، ثم يخربون بقية الماء ، فإذا دارت

الحرب شرب المسلمون ، ولم يشرب الكفار ..

فأعجب النبي ﷺ بالفكرة ، فنهض وسار بالمسلمين ،

حتى أتى أقرب ماء من الكفار ، فبنوا عليه حوضا

فملئوه بالماء ، ثم أفسدوا بقية الماء ..

وَبَنَى الْمُسْلِمُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشًا
يُدِيرُ الْمَعْرَكَةَ مِنْ خَلَالِهِ ..

وَفِي صَبَاحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُوَافِقِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ
شَهْرِ رَمَضَانَ تَحْرَكَ جَيْشُ قُرَيْشٍ فِي اتِّجَاهِ بَدْرٍ ،
فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ :

« اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلَانِهَا وَفَخَرِهَا
تُحَادِّكَ (أَيْ تُعَادِيكَ وَتُحَارِبُكَ) وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ..
اللَّهُمَّ فَتَصْرِكِ الَّذِي وَعَدْتَنِي .. اللَّهُمَّ أَحْنِهِمُ الْغَدَاةَ
(أَيْ أَهْلِكْهُمْ هَذَا الصَّبَاحَ) .. »

وَتَقْدُمُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ هُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ
الْمَخْزُومِيِّ ، وَقَالَ :

« أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَيْنِ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لِأَهْدَمْنَهُ ،
أَوْ لِأَمُوتِنِ دُونَهُ .. »

وَخَرَجَ لَهُ أَسَدُ اللَّهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ رَضِيَ
فَقَتَلَهُ ..

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ

وأخوه شيبه بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، فقالوا :

- يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا لنبارزه ..

فأخرج لهم النبي ﷺ من أصحابه : حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ..

فبارز حمزة شيبه وقتله ، وبارز علي الوليد بن عتبة وصرعه ، وبارز عبيدة عتبة بن ربيعة لبعض الوقت ، ثم كر حمزة وعلي علي عتبة فقتلاه مع عبيدة ..
فزحف المشركون نحو المسلمين ، وبدأت المعركة ..

(يتبع)

رقم الإصدار : ٢٠٢/٧٢-٢

الترقيم المادي : ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٤ - ١٧٣

فصل الأنبياء • الكتاب التالي •

محمد (صلى الله عليه وسلم)

النصر العظيم (٢٢)

• انصر على اقتنائه •